الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

دار القرآن الكريم

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام التربوي الدولي السنوي السادس

الجزء الأول

محفوظة
جميع الحقوق

لدار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة

BP133.7 .A44 .M88 2026
ISBN 9789922778327

مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين السادس (٦-٥/ ٢/ ٢٠٢٥ : كربلاء، العراق).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان: أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والادوات / أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين بتاريخ (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) - الطبعة الأولى - كربلاء، العراق : العتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦م / ١٤٤٧ هـ.
٥ مجلد ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٧٦٣)، (قسم دار القرآن الكريم؛ ٤٧).
يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.
١. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - في القرآن - مؤتمرات.
٢. علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الأول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة - أثره في تفسير القرآن وعلومه- مؤتمرات.
٣. حديث (علي مع القرآن) - دراسة.
٤. الإسلام والسياسة - مؤتمرات.
٥. السياسة الاقتصادية (الإسلام) - مؤتمرات.
٦. الإسلام وعلم الاجتماع - مؤتمرات.
٧. الإسلام والطب. أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). دار القرآن الكريم. ب. العنوان.
تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

239،3063

م ٣٥٩ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٦: ٢٠٢٦: كربلاء)
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس المنعقد بعنوان أثر أمير المؤمنين علي عليه السلام القرآني في مدونات المسلمين : قراءة في المنهج والأدوات/ مؤتمر . ط١- كربلاء: دار القرآن الكريم، ٢٠٢٦، الجزء الأول، (٥٣٤ صفحة)، ٢٤ سم.
١ .الإمام الحسين بن علي عليهما السلام - الإمام الثالث- مؤتمرات .
م. العنوان.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد: (١٧٤٦) - لسنة ٢٠٢٦م

الإخراج الفني: أمجد حامد الفتلاوي

وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي السنوي السادس

المنعقد بعنوان

أثر أمير المؤمنين علي القرآني في مدونات المسلمين

قراءة في المنهج والأدوات

وتحت شعار لن يفترقا

علي مع القرآن والقرآن مع علي

أقامه قسم دار القرآن الكريم التابع للعتبة الحسينية المقدسة

بالتعاون مع كلية العلوم الإسلامية - جامعة كربلاء ورابطة التدريسيين التربويين

وذلك بتاريخ (٥-٢٠٢٥/٢/٦)

Ministry of Higher Education & Scientific Research

Research & Development Directorate

o.:
ate

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

دائرة البحث والتطوير

قسم التنسيق والتعاون العلمي

العدد: ب ت/ ٢٥٠٤ /١

التاريخ: ٢٠٢٥/١/٢٩

Republic of Iraq Ministry of Higher Education and Scientific Research

جامعة كربلاء/ السيد مساعد رئيس الجامعة للشؤون العلمية المحترم

م/ مؤتمر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إشارةً الى كتابكم ذي العدد (ع/ش.ع/ ٣٠٩) في (٢٠٢٥/١/٢١) ومرفقه الاولويات الخاصة بمؤتمر جامعتكم الموسوم (**أثر امير المؤمنين علي (عليه السلام) القرآني في مدونات المسلمين – قراءة في المنهج والادوات**) والمزمع انعقاده للمدة (٥-٦/ ٢/ ٢٠٢٥) ، وبالنظر لاستيفائكم المتطلبات المشار اليها ضمن الضوابط الخاصة بإقامة المؤتمرات التي تم اعمامها بموجب كتابنا المرقم بالعدد (ب ت٥٣٥٩/٢) في (٢٠٢٣/٦/٢١) ، بشأنه حصلت الموافقة على إقامة المؤتمر أعلاه.

... مع التقدير

أ.د. لبنى خميس مهدي
المدير العام لدائرة البحث والتطوير
٢٠٢٥/ ١ /٢٨

نسخة منه الى//

- مكتب الوزير/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- مكتب وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير/ مكتب المدير العام/ للتفضل بالاطلاع ... مع التقدير
- دائرة البحث والتطوير / قسم التنسيق والتعاون العلمي /شعبة المؤتمرات / مع الاولويات.

م.م. مروه ١/٢٨

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

المقدِّمة:

الْحَمْدُ للهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ، وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ، نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعاً، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقاً، فَأَدَّى أَمِيناً، وَمَضَى رَشِيداً، وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ، مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ، وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ، آلَه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين...

خلق الله تعالى أمثلةً للإنسان الكامل على مختلف العصور؛ فكان حجَّته في أرضه التي لا تخلو من مثالٍ لذلك الكمال، الذي هو بنفسه درجات مثَّل أعلاها نبيُّنا محمَّدﷺ، فكان المثال الأعلى في الكمال على مستوى المخلوق، ولو أردنا البحث عمَّن يليه في هذه المرتبة فلا بدَّ من الاستعانةِ بخطٍّ شروعٍ متَّفقٍ عليه يكشف الكمال، ولا يوجد مثل القرآن الكريم من يكشف ذلك بوصفه كلام الله تعالى الكامل، وعلى أساس ذلك يكون مقياس الكمال على شدَّة المصاحبة والانطباق مع كلام الله تعالى، ويكون ذلك ميزانًا للتفاضل، ومن هنا فقد اتَّفقت مصادر المسلمين على رواية قول النبيِّ محمَّدﷺ لأمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍعليه السلام: ((عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ، لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ))، وهذا الحديث رواه الحاكم النيسابوريّ (ت: ٤٠٥ هـ) في المستدرك وصحَّحه، ووافقه الذَّهبيُّ (ت: ٧٤٨ هـ) - على ما فيه من تشدُّدٍ - في التصحيح، وروي أيضًا في غير ذلك من المصادر الأخر، أمَّا في مصادر أهل البيتعليهم السلام فلا خلاف في هذا الحديث ودلالته، وبذلك فهو متَّفقٌ على صحَّته ونسبته إلى رسول اللهﷺ، وهو لا ينطق عن الهوى فيكون مصداق هذا الحديث حقيقة لا مرية فيها، وعلى أساس ما تقدَّم أُقيم هذا المؤتمر العلميّ الدَّوليّ لدراسة حقيقة هذا الحديث وواقعه العمليّ عبر البحث في مدوَّنات المسلمين عن الأثر القرآني لأمير المؤمنينعليه السلام، وبيان ما له من علومٍ قرآنيَّة تفرَّد بها؛ وصولًا إلى الإثبات العمليّ لدلالة الحديث المذكور آنفًا.

وقد حدَّد المؤتمر مساره البحثي في بيان الحقائق القرآنيَّة على وفق منهج أمير المؤمنين عليه السلام، والبرهنة العمليَّة على كماليَّة القرآن الكريم بشموله لكلِّ نواحي الحياة، ومقاربة ذلك بحياتنا المعاصرة، ومعالجة أهمِّ مشكلاتها في ضوء ما قدَّمه أمير المؤمنين عليه السلام من أثرٍ قرآنيٍّ امتدَّ ليشمل الحاجات الإنسانيَّة على مختلف العصور، مركِّزًا في ذلك على حاجات الإنسان الكبرى التي لا تختلف باختلاف صور معيشته، ومن هنا فإنَّ المؤتمر يركِّز على الأثر القرآنيّ لأمير المؤمنين عليه السلام تفسيرًا وعلومًا، ومقاربته على وفق المناهج الحديثة في البحث العلميّ ومساراته المعرفيَّة في التخصصات الإنسانيَّة والعلميَّة؛ لتكون النتيجة تقديم أمير المؤمنين عليه السلام بوصفه حلًّا لكلِّ التقاطعات، والمرجعيَّة الأصيلة التي يمكن أن ننتهي إليها بمعيَّة القرآن الكريم.

وكان حاصل هذا المؤتمر مائة وخمسة وستِّين بحثًا في شتَّى التخصُّصات المعرفيَّة، عملت على استنطاق أهداف المؤتمر ومعالجة أهمِّ المسارات التي حُدِّدت بشأنِ إقامته، وما هذه الوقائع إلَّا واحدة من مخرجات المؤتمر نأمل من الله تعالى أن تكون مرضيَّةً من لدن الباحثين والمتخصِّصين والمتابعين بشكلٍ عام.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على محمَّد وآله الطاهرين.

لجنة التدقيق والمراجعة العلمية

الشيخ د. خير الدين علي الهادي سلمان/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

السيد د. مرتضى عبد الأمير جمال الدين/ معاون رئيس قسم دار القرآن الكريم

م.د. عماد طالب موسى/ مدير مركز البحوث والدراسات القرآنية

أ.م.د. عمار حسن عبد الزهرة/ مدير تحرير مجلة هدي التقلين

م.د. بهاء مهدي مظلوم دويج/ مدقق لغوي

م.د. عمار عبد العباس عزيز/ مدقق لغوي

أمجد حامد شاكر/ مدقق فني

الفهرس

الإعجاز الطبّي للتمر (الرطب) لسيّدنا الإمام عليّ عليه السلام ١١

أ. د. محمد جياد النعيمي

الحجاج المُدَّعم في الخطاب العلويّ قراءة استكشافيّة في اللسانيّات الاجتماعيّة ٦٥

أ.د حازم طارش حاتم

نصُّ الدعاءِ وشعريّة تودوروف الأجناسيّة دعاءُ كميلٍ اختيارًا ٨٩

أ.د. خليل شكري هياس / أحمد علي الهادي سليمان

التربية والتّعليم في القرآن وفي تعاليم أمير المؤمنين عليه السلام ١٣٩

أ.د. دلال عبّاس

التوجيه اللغوي لأقوال أمير المؤمنين عليه السلام في المدوّنات القرآنيّة..... ١٧٧

أ.د. سليمة جبّار غانم

منهجُ أميرِ المؤمنين عليه السلام في أقواله في تفسير القرآن الكريم..... ٢٠٧

أ. د. سميّة حسن عليان

الأثر القرآنيّ ومكانة الإمام عليّ عليه السلام ودور أهل البيت في التفسير ٢٣٣

أ. د شاكر محمود مهدي هادي العزاويّ

الشاهدُ القرآنيُّ مقتضًى إقناعيٌ في خطبةِ الديباجِ للإمامِ عليٍّ بنِ أبي طالب عليه السلام..... ٢٥٧

أ.د. عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداويّ

أثرُ الإمامِ عليّ عليه السلام في كتاب (البصائر والذخائر) لأبي حيّان التوحيديّ ٢٨٥

أ.د. عبد الهادي عبد الرحمن الشاوي

حِلِّيَّة المطعوم وتحريمه فيما رُوِي عن الإمام علي عليه السلام في سورة المائدة ٣١٣

أ. د. علي رحيم هادي الحلو

الأثرُ القرآني في حياة أمير المؤمنين عليه السلام وتفريعه في قصيدة (وجوهٌ لعليّ) ٣٣١

أ.د. علي مجيد البديري

إيثارُ أمير المؤمنين عليه السلام آيةُ ليلةِ المَبيت مصداقًا ٣٥٥

أ.د. علي نيكوكار

الثابتُ والمُتغيِّر في السلطةِ عندَ الإمام عليّ عليه السلام في ضوءِ المَنهجِ القُرآني ٣٨٥

أ.د. كاظم عبد فريح

التعايشُ السلميّ وحقوقُ الإنسان عند أمير المؤمنين عليه السلام دراسةٌ تطبيقيةٌ وميدانيّةٌ.... ٤٠٧

أ.د.مصطفى محمد أمين الأتروشي/ آسيا عبد الله أحمد

المُشيراتُ القرآنيَّةُ في الخُطبِ العلويَّة (قراءَة معرفيَّة جديدَة في الدّراسات اللسانيَّة)... ٤٢٩

أ.د. هادي سعدون هنون العارضي

عالميّةُ الخطابِ العلويّ من منطقِ القيمِ القرآنيّةِ إلى منطقِ نشرِ القيم..... ٤٥٥

أ. د. آمال خلف علي آل حيدر

رؤيةُ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في الوسطيّةِ والاعتدالِ من المنظورِ القرآنيّ أداةٌ في محاربةِ ٤٧٥

أ.د. حيدر كريم الجمالي/ أ.د. صادق فوزي النجادي

السياسة الاقتصاديّة للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام في مواجهة الفقر ٥١٣

أ.د. برزان مُيَّسر الحامد

رؤيةُ الإمامِ عليٍّ عليه السلام في الوسطيّةِ والاعتدالِ من المنظورِ القرآنيّ أداةٌ في محاربةِ الاستكبارِ ونبذِ العنفِ

أ.د. حيدر كريم الجمالي أ.د. صادق فوزي النجادي
جامعة الكوفة/ كلّيّة التربية الأساسيّة

الملخّص:

الحمدُ لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على خيرِ الأنام محمّد وعلى آله الطيّبين وبعد.

لا يخفى على كلّ لبيب وصاحب فكرٍ نيّرٍ أنّ كلّ مفاهيم الحياة بأصعدتها المتعدّدة لها حدود ثلاثة: حدّان متطرّفان، يرجعان إلى ما يسمّى بالاستكبار والخضوع، وحدٌّ يتوسّط بينهما، هو الاعتدال والوسطيّة، وعلى أساس اختلاف هذه الحدود تنوّعت المواقف العلميّة للمسلمين في جميعِ المفاهيم الحياتيّة، والتعاليم الإسلاميّة، وقد جاءت الإشاراتُ القرآنيّة جليّة في مسألة الوسطيّة والاعتدال، وقد استمدّ رسول الله صلى الله عليه وآله من تلك التعاليم السمحة منهجه في السير بهذه الأمّة نحو أن تكون خير أمّة أُخرِجَت للناس، فقد أشار إليها ووكّدها ونصّ عليها، وجاء من بعده مولى الموحّدين وأمام المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي صدحت المحاجرُ بذكرِ فواضلهِ، وأخلاقهِ، وممارساته الدينيّة الحقّة في الوسطيّة والاعتدال، فهو عنوان الوسطيّة القرآنيّة والاعتدال، فقد تربّى بحجرِ المولى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو مصداقها الحقّ بعد أن تغيّرت الأمّة، وفارقت المنهج الحقّ الذي دعت إليه رسالة السماء.

فجاء بحثنا تجسيدًا لفكرةِ الوسطيّة والاعتدال في فكرِ المولى أمير المؤمنين عليه السلام من منظورٍ قرآنيّ دينيًّا كان أم اجتماعيًّا أم سياسيًّا، من خلال تسليطِ الضوء على فكرة الوسطيّة في الأحكامِ، وفكرةِ التعايش السلمي بين المجتمعات، من خلال ما ورد من نصوصٍ قرآنيّةٍ في الكتابِ العزيزِ.

الكلمات المفتاحيّة: الإمامُ عليّ عليه السلام، الوسطيّةُ والاعتدال، الاستكبار، نبذ العنف.

Abstract:

Praise be to God، Lord of the Worlds، and peace and blessings be upon the best of mankind، Muhammad، and upon his pure family.

It is clear to every discerning and enlightened person that all aspects of life، in their various dimensions، have three limits: two extreme limits، which are called arrogance and subservience، and a middle limit between them، which is moderation and balance. Based on the diversity of these boundaries، the scholarly positions of Muslims varied across all aspects of life and Islamic teachings. The Quranic verses clearly indicate moderation and balance، and the Prophet (peace be upon him) derived his approach to guiding this nation towards becoming the best nation brought forth for mankind from these tolerant teachings. He pointed to it، emphasized it، and stipulated it. After him came the master of the monotheists، the leader of the pious، and the leader of the radiant ones، Ali ibn Abi Talib (peace be upon him)، whose virtues، morals، and true religious practices of moderation and balance were praised by the eyes. He is the epitome of Qur'anic moderation and balance، for he was raised in the lap of the master، the Messenger of God (peace be upon

him). This is its true confirmation after the nation changed and departed from the true path to which the message of heaven called. Our research came as an embodiment of the idea of moderation and balance in the thought of the Commander of the Faithful (peace be upon him) from a Qur'anic perspective، whether religious، social، or political، by highlighting the idea of moderation in rulings، and the idea of peaceful coexistence between societies، through what was mentioned in Qur'anic texts in the Holy Book.

Keywords: Imam Ali (peace be upon him)،moderation and centrism، arrogance، rejection of violence.

مقدّمة

الاستكبار خصلة غير حميدة في البشر، وهي من الصفات الدنيوية، ويعني التَّعظم والاستعلاء على البشر في نواحي مختلفة؛ والكِبْرُ والتَّكَبُّرُ والاسْتِكبَار ألفاظ تتقارب من ناحية المعنى، فـ الكبر: الحالة التي يتخصّص بها الانسان من إعجابه بنفسه وذلك أن يرى الانسان نفسه أكبر من غيره. وأعظم التكبّر على الله بالامتناع من قبولِ الحقّ والإذعان له بالعبادة؛ والاستكبار يقال على وجهين؛ أحدُهما: أن يتحرّى الإنسان ويطلب أن يصير كبيرًا، وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب وفي الوقت الذي يجب فمحمودٌ، والثاني: أن يتشبّع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد في القرآن، وهو ما قال تعالى: ﴿أَبَى وَاسْتكبَرَ﴾ [البقرة: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولُ بَما لاَ تَهوى أَنفُسُكُم أَسْتكبَرتُم﴾ [البقرة: ٨٧] وقوله: ﴿فَاستكبَرُوا وَكَانُوا قوماً مُجرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، والتكبّر يقالُ على وجهين؛ أحدُهما: أن تكون الأفعال الحسنة كثيرة في الحقيقة، وزائدة على محاسن غيره، وعلى هذا وُصِفَ اللهُ تعالى بالتكبّر فقال: ﴿العَزِيزُ الجبَّارُ المُتكَبرُ﴾ [الحشر: ٢٣]، والآخر: أن يكون متكلّفًا لذلك، متشبّعًا، وذلك في وصف عامّة الناس نحو قوله تعالى: ﴿فَبِئسَ مَثوى المُتكَبرينَ﴾ [غافر: ٧٦]، وقوله: ﴿كَذَلكَ يَطبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلبِ مُتكَبرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، ومَن وُصِفَ بالتكبّر على الوجه الأوّل فمحمودٌ، ومَن وُصِفَ به على الوجه الثاني فمذمومٌ ويدلّ على أنّه قد يصحّ أن يوصف الإنسان بذلك ولا يكون مذمومًا نحو قوله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آياتي الذينَ يَتكبَرُون في الارضِ بغيرِ الحقِ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

فالتكبّر إذن: مرض نفسي يصاب به الشخص عندما يحسّ بتفوّقه على الآخرين في صفات معيّنة كالمال والقوّة والسلطان والعلم وغيرها من الأمور، فيصاب بالغرور ويرى نفسه أعلى منزلة من غيره وعلّة هذا الشعور وسرّه: إنّ النفس ضعيفة أمام مغريات الدنيا إن لم يسعفها الإيمان، ويرتفع بها عن تراب الأرض ويعرّفها بعلّة وجودها ... والنفس فيها ميل وهوى إلى الظهور والاستعلاء وهذا أمر كامن فيها؛ لذا يقول الدكتور مك برايد: إن تكبّرَ أيّ شخص على آخر أو أيّة أمّة على أخرى إنَّما يعني احتقار الشخص الآخر، أو الأمّة الأخرى، وإنّ أكثر الخصومات والمنازعات لهي ناشئة من عقدةِ الحقارة، وإنّ اتّخاذ فكرة التكبّر أو التخاصم لهو نوع من محاولة سدّ الفراغ الذي يحسّه المتكبّر في باطنهِ من عقدةِ الحقارة، وإلّا فلا يتصوّر أيّ إنسان شريف طاهر الضمير أو أيّ أمّة أو طبقة أو عنصر أو قوم أو دم أيّ ميزة أو اختلاف بينهم وبين الآخرين، على أنّ بواعث التكبّر والاستكبار كثيرة منها في الشخص نفسه، ومنها بغيره، ومنها في المتكَبَّر عليه؛ فأمّا التي تتعلّق بالشخصِ نفسه فهي العُجُب، وأمّا ما يتعلّق بغيره فهو الرياء، وأمّا ما يتعلّق بالمتكَبَّر عليه فهي الحسد والحقد، لهذا فالأسباب المؤدّية للاستكبار والتكبّر هي العجب والرياء والحسد والحقد.

وفي أجواء الصراع واحتدام التحدّي والتداخل بين الثقافات، فقد العديد من البشر شخصيّاتهم المستقلّة عندما عملوا على الجمع بين الأفكار المنبثقة عن عقيدتهم، والأفكار والمفاهيم عن الحياة المنبثقة عن عقائد أخرى، وقد كان ذلك بسبب جهلهم وعدم أخذ الأمور على أصولها، وفي ظلّ هذه الأوضاع البالغة السوء بدأت تنشأ وتنشط بعض الجماعات والحركات لتواجه هذا الركام من الأفكارِ الخاطئة والتوجّهات المنحرفة، وفقًا لما بيّنه القرآن الكريم ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي

مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣]، على أنّ طريق الاستقامة ليس أمرًا هيّنًا فقد يصعب على البعض الالتزام به فتحدث الفرقة والتنازع؛ لذا أوعز اللهُ عزّ وجلّ إلى الناس وجوب تكوين جماعة منسجمة في الهدفِ والطريقةِ تجنّبًا للاختلافِ بقوله: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:١٠٤]، والاعتدال والوسطيّة مبدأ ألفته الكائناتُ جميعًا قبل أن يصير موروثًا إنسانيًّا، لكنّه تمثّل في النوع الإنساني في أجلى مظاهره، وأعلى مراتبه، وعلى هذا جبلت فطرته الإنسانيّة السليمة، فهو يألف ويؤلف من سائر أفراد نوعه ممّا حكم ذلك بوجوب اتّخاذ المدنيّة، والتعاون الاجتماعي الذي يلزم منها استقرار المجتمع ممّا دعا ذلك كلّه إلى أن يكون الإنسان مدنيّ الطبع، وأن يحكم هو بالعدلِ الاجتماعي.

إن الإسلام يريد للإنسان أن يحصل على القناعة الذاتية المرتكزة على الحجة والبرهان في إطار التعايش الهادئ العميق سواء في قضايا العقيدة أم قضايا الحساب والمسؤولية، وعلينا بناء حوار فكري وإنساني فعّال، وسلام مثمر بين التيّارات والمذاهب والأديان المختلفة.

فالنصّ القرآني يرى أنّ الدخول في نقاش وجدال مثمر بين الأطراف المتعدّدة والفئات المختلفة للبشر من دون وجود قناعات مسبقة هو الذي سيؤدّي إلى نبذ الاستكبار بين الأطراف، ومن ثمّ التفاهم والإقناع، فهناك فكرٌ يحاورُ ويناقشُ فكرًا آخر.

وقد طُرِحَ هذا المفهوم – التعايش ونبذ الاستكبار - في ضوء النظريّتين القرآنيّة وصدام الحضارات، ولا بدّ من التمييز بينهما؛ فالأولى سوف يكون عليها مدار البحث – أعني: النظريّة القرآنيّة- أمّا الثانية فقد شغلت فيها عبارة الاعتدال والتعايش بين الفئات صدًى واسعًا عند الباحثين عقب انتهاء الحرب الباردة بين المشرقِ والمغربِ، وتخلص هذه النظرية إلى وجود صدامات حضاريّة على مستوى القيم والأخلاق والمفاهيم لدى شعوب معيّنة (الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الأمريكيّة) وهذه القيم تتناقض مع القيم السائدة في عصرنا الحاضر. وكلّ منها تحاول الاستيلاء والتكبّر على الأطراف الأخرى، وقد وجد الباحث الأميركي (صمؤيل هينجتون) إنّ القيم الدينيّة هي الأشدّ رسوخًا وثباتًا ومعارضة لقيم الحضارة الغربيّة.

فنظريّة (صدام الحضارات) قائمة على هيمنة القطب الواحد والحضارة الواحدة على بقيّة الحضاراتِ واستكبارها، والحفاظ على تلك الهيمنة والنفوذ والاستكبار من خلال الترويج لثقافة الصراع والقتال فيما بين الأمم ولاسيّما الحضارة الإسلاميّة، وغرسها في المفهوم العقائدي والفكري، على أن خلق روح التصادم والتناحر لا تستقيم والواقع التاريخي للميراث الحضاري، ولا مع الواقع المعاصر، إذ إنّها قوبلت بنظريّة (حوار الحضارات والأديان) وعدم تسلّط أيّ حضارة على أخرى، وإنهاء فكرة القطب الواحد والحضارة الواحدة، ومقارعة الاستكبار الظالم.

أمّا النظريّة القرآنيّة فلها فكرة أخرى لا ترقى إليها النظريّة السابقة فالنصّ المقدّس قدّم رؤية كاملة للعشرة الإنسانيّة والألفة الاجتماعيّة التي لم تقم على أسس نفعيّة أو هيمنة نفوذيّة، يظلم من خلالها الإنسان ويصبح عبدًا لغيره؛ فمسألة

الوسطيّة والحوار مع الغير، والسلام ومحاربة الاستكبار، أصبحت في الوقت الحاضر لها امتداد عالمي من خلال عدم رفضِ الآخرِ واستئصاله كما يوضّح ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾[آل عمران:٦٤]، فالكلمة السواء إنّما هي تواصلٌ مع الآخر من خلال مدّ جسور الحوار وترك الاستكبار والاعتراف به، والتسامح والمحبّة تجاه الآخرين فهو إمّا أخٌ لك في الدين أو نظيرٌ لك في الخلق. والإمام عليّ عليه السلام هو المصداق الأوفى والحقّ لتجسيد هذه النظريّة، فهو الذي تربّى في بيتِ النبوّة، ونهل من فم رسولِ الإسلام محمّد صلى الله عليه وآله، ومن تعاليمه الحقّة، فالقرآن الكريم يدعو إلى نبذ التكبّر والابتعاد عنه، ويدعو إلى التعايش السلمي، والحوار الهادئ من دون تعصّب، والانفتاح على الآخر وتفهّم قناعاته، وأفكاره بعيدًا عن إلغاء الآخر.

فجاء بحثنا تجسيدًا لفكرة الوسطيّة والاعتدال في فكر المولى أمير المؤمنين عليه السلام من منظورٍ قرآنيّ من خلال تسليط الضوء على فكرةِ الوسطيّة في الأحكام، وفكرة التعايش السلمي بين المجتمعات من خلال ما ورد من نصوصٍ قرآنيّة في الكتابِ العزيزِ بوصفه كتاب دعوة لطريق نجاةٍ يخاطبُ العقولَ والنفوسَ لتوجيهِ السلوك نحو التكاملِ والتسامي والنجاةِ.

وقد اهتمّ المسلمون بقواعدِ الخطاب وأخلاقيّاته، وأسباب التأثير في المقابل من خلال تعدّد الحوار والدعوة؛ ليكون التغييرُ ناجحًا ومثمرًا، وفي الوقت نفسه يكون مؤثّرًا في الناس، ومن ثمّ ينطلق لإصلاح الفكرِ الإنساني عامّة، وفكر الأشخاص المعاندين والمستكبرين خاصّة، وبناء الإنسان حضاريًّا، وذلك على وفق ما جاء في القرآنِ الكريم من دعوةٍ للسموّ بالإنسان، وحفظ كرامتهِ وحقوقه، وعدم التعدّي عليه، وسلب رفاهيّته، وحريّته، التي أودعها الله فيه، والحوار الهادئ

من دون تعصّبٍ، والانفتاح على الآخر وتفهّم قناعاته، وأفكارهِ بعيدًا عن إلغاءِ الآخرِ.

فالإمامُ عليّ عليه السلام يريدُ للإنسان أن يحصل على القناعةِ الذاتيّة المرتكزة على الحجّة والبرهان في إطار نبذِ العنفِ والاستكبارِ سواء في القضايا العقائديّة أم بقضايا الحساب والمسؤوليّة، وعلينا بناء حوار قارّي وإنساني فعّال وسلام مثمر بين التيّارات والمذاهب والأديان المختلفة.

التمهيد: مفهوم الاعتدال والوسطيّة في الخطاب القرآني

الاعتدال والوسطيّة مصطلحٌ اجتماعيّ إنسانيّ تعدّدت معانيه على أسس حضاريّة أو إيديولوجيّة؛ إلّا أنّها تصبّ في معينٍ واحدٍ ألا وهو الأصل الاجتماعي. فالله عزّ وجلّ يدعو الناس إلى مكارم الأخلاق وينهى عن مساوئها، وحذّر البشر من بعض الأفعالِ القبيحة، ودعا الناس هنا جميعًا للتعارف والتآلف ونهاهم عن التفاخرِ بالأنساب، فالخطاب موجّه لجميع البشرِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات:١٣]، أي: نحن بقدرتنا خلقناكم من أصل واحد، وأوجدناكم من أبٍ وأمّ فلا تفاخر بالآباء والأجـداد، ولا اعتداد بالحسبِ والنسبِ، كلّكم لآدم وآدم من تراب وجعلناكم شعوبًا شتّى وقبائل متعدّدة ليحصل بينكم التعارف والتآلف لا التناحر والتخالف[1]، فالآية ((كما يظهر لنا تحتوي على سلسلة من أصـولِ الأخـلاقِ الاجتماعيّةِ المهمّة التي إن عُمِلَ بها وعلى هُداها حفظت المحبّة والصفاء والأمن والاتّحاد في المجتمعات، وبخلاف ذلك لو أُهمِلَت تكون سببًا للشقاء والنفاقِ وعدمِ الأمنِ. والملاحظ في الآية محلّ البحث أنّها تخاطبُ جميعَ الناسِ وتبيّن أهمّ أصلٍ

(١) ينظر: صفوة التفاسير: ٣ / ٢١٩ .

يضمن النظم والثبات، وتميّز الميزان الواقعي للقيمِ الإنسانيّة عن القيمِ الكاذبة والمغريات الباطلةِ))[1]، فالآية في مقامِ نفي التفاخرِ بالأنسابِ ودليلنا على ذلك ما أشارت إليه الآيةُ نفسها من خلالِ:

١-الاشتراك في الانحدار النسبي فكلّ ذكر أو أنثى أبيض أو أسود يعودون إلى آدم وحواء.

٢-إن جعل الشعوب والقبائل من قبيل التنوّع في المجتمعات الإنسانيّة لا التنوّع الطبقي الداعي إلى التمايزِ والافتخار.

على أنّ الآية وضعت معيارًا للتمايز والتفاضل بين البشر ألا وهو التقوى، فمعيار التقوى معيارٌ حقيقي؛ فنزعةُ التفاخر والاستكبار ثابتة في النفس الإنسانيّة على قولِ العلامة السيّد الطباطبائي ((وذلك إنّ الإنسان مجبولٌ على طلب ما يتميّز به من غيره، ويختصّ به من بين أقرانه من شرف وكرامة))[2]، فضلاً عن أنّ الناس بما هم بشر ترى المظاهر تمايزهم، ومنها الجمال والغنى وغيرها من المفاخر، وعليه اختار الله عزّ وجلّ بعلمه هذا المعيار.

ولمحاربة الاستكبار والتكبّر هناك أمور وعلاجات وضعتها الوسطيّة والاعتدال منها على سبيلِ الإجمال لا الحصر:

١- الابتعاد عن التصارع ونبذ الاختلاف والدعوة إلى كلمة سواء:

إنّ هذه الدعوة لا تخصّ ملّة دون ملّة، ولا دين دون دين؛ لأنّ كلّ اختلاف بغيرِ وجهِ حقّ مؤدّاه التنازع والاختلاف، ومن هنا كانت الدعوةُ إلى توحيدِ الكلمة والصفِّ ولمّ الشملِ ومواجهة الأعداءِ والطامعين، وهذا ما نجده في الخطابِ

(١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٦ / ٥٠٧- ٥٦٠.
(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٨ / ٣٢٧ .

القرآنيّ متمثّلًا بقولهِ تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤]، فالقرآن الكريم يكشف لنا عن نزعةٍ أصيلة للتواصل مع الآخر، وليس نزعة إقصاء؛ لذا يؤكّد الخطاب القرآني في كثيرٍ من آياته على التعايشِ والتسامحِ تجاه الآخرين على أنّ التسامح لا يعني التنازل عن الحقوق والمعتقداتِ؛ وإنّما القبول بالطرف الثاني كشريكٍ وفق أسس ومبادئ تحفظ كرامته وحقّه بغضّ النظر عن أفكارهِ وقناعاته الأخرى، فالإسلام لم يصادر حقّ مَن لم يدخله أو تحويلهم بالإكراه إلى مسلمين ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦]، فقد قيل: كان ذلك في ابتداء الإسلام فإنّه كان يعرض على الإنسان الإسلام فإن أجاب وإلّا تُرِكَ، وعليه فالآية المتقدّمة - محل البحث- تشير إلى دعوةِ الحوار مع أهل الكتب السماويّةِ الأخرى فهي دعوة إلى كلمة واحدة مستوية لا التواء فيها، فلا عبادة إلّا لله. ((وبهذا يعلّمنا الخطاب القرآني درسًا مفاده أنّكم ما لم توفّقوا في حملِ الآخرين على التعاونِ معكم في جميعِ أهدافكم، فلا ينبغي أن يقعد بكم الناس عن العمل، بل اسعوا لإقناعهم بالتعاون معكم في تحقيق الأهداف المشتركة بينكم، كقاعدةٍ للانطلاق إلى تحقيقِ سائر أهدافكم المقدّسة))[1].

وعليه تعدّ هذه الآية نداء للوحدة والاتّحاد بين أهل الكتاب، إذ إنّ الاجتماع إلى كلمة سواء (الكلمة الحقّة) تفيد نبذ التناحر والتنازع الناتج عن تعدّدِ الأرباب؛ لقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:٦٤]، ويرى العلّامة السيّد الطباطبائي في تفسيره ((أنّ الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده تنسجم والفطرة الإنسانيّة التي تقتضي بوجوب تطبيق الإعمال الفرديّة الاجتماعيّة على

(١) الأمثل: ٢/ ٥٣٨.

الإسلام لله، وبسط القسط والعدل، أعني: بسط التساوي في حقوق الحياة، والحريّة في الإفراد الصالحة، والعمل الصالح))[1]. وهذا نراه جليًّا في قولِ أمير المؤمنين عليه السلام : ((ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًّا))[2] ؛ ولهذا كان الإمام عليّ عليه السلام يوصي الولاة والمدراء دومًا بتطبيقِ أحكام الإسلام، ومراعاة الجوانب التربوية والقيم الاجتماعيّة في إدارة شؤون الناس والمجتمع. وقد صدر عنه عليه السلام دعواتٌ وإرشاداتٌ متكرّرة إلى الولاةِ والعمّال يدعوهم فيها إلى اتّباع الدين وتطبيق أحكام الله، قال عليه السلام : ((فَشَرِّفُوهُ (الدين) وَ اتَّبِعُوهُ وَ أَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ))[3]. وفي موضعٍ آخر، حذَّر من استغلالِ الدين لأغراض أخرى، وما ينجم عن ذلك من أضرارٍ فادحةٍ، قائلاً: ((فإنّك (...) قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ، مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ، وَ يُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخِلْطَتِهِ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ، وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ يَلُوذُ بِمَخَالِبِهِ، وَ يَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَ آخِرَتَكَ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ))[4].

٢-اللين في الخطاب والرقّة:

الصراعُ بين الخير والشرّ من أنماطِ الصراع غير المنتهية إلّا بنهاية الكون؛ ذلك أنّه المحكّ الرئيس لتمييز الخبيث من الطيّب في المعادلة الإلهيّة. وعليه فإنّ أهمّ معطيات هذا الصراع هو تهذيب النفوس في ميزان العارفين ومريدي السلوك نحو الله، وذلك من خلال تهيئة الدواعي الأخلاقيّة والنفسيّة فكلاهما مؤثّر في البشر، وعليه تقوم وحدة الصف، ونلحظ ذلك في الخطاب القرآني بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ

(١) الميزان: ٢/ ٢٥٠
(٢) نهج البلاغة، محمد عبده: ١/ ٨٣
(٣) م. ن: ١/ ٢٣١ .
(٤) نهج البلاغة: ٣٩.

فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، فالفظّ: هو الغليظ الجافي، القاسي القلب. والفظاظة: خشونة الكلام. والافتظاظ: شرب ماء الكرش. والماء من كرشِ الإبل يكون غير مُستساغ الطعم، فالله سبحانه وتعالى يُبيّن أنّ مساهلةَ الرسولِ صلى الله عليه وآله إيّاهم، ومجاوزته عنهم من رحمته إذ جعله ليّن العطف، حسن الخلق ولو كان جافيًا غليظَ الخُلُق وقاسي الفؤاد من غير ذي رحمة ولا رأفة لتفرّقَ عنه أصحابه قبل أعدائه.

والملاحظ في الآيةِ تقارب لفظتي الفظاظة والغلظة، وبهذا يكون الرسول صلى الله عليه وآله منفيًّا عنه الجفاء في اللسان، والقسوة في القلب، وفي هذه الآية إشارة صريحة إلى إحدى أهمّ الصفات التي يجب توفّرها في أيّ مجتمعٍ، ألا وهي العفو واللين تجاه الآخرين، والعفو واللين كفيلان بالتفافِ المسلمين حول النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لأنّ النفس الإنسانيّة تقبل المحسن إليها وتنفر من السيّئ، ثمّ لو لاحظنا نهاية الآية ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ فهذا دليل على احترام الناس وأفكارهم لا على تبنّي أراءهم، ولو كان من بابِ الاستئناس بها فالرسول صلى الله عليه وآله هو الناطق عن ربّ العزّة[١].

ولو رجعنا إلى كلمات أمير المؤمنين عليه السلام لم نره إلّا مؤكّدًا تلك المعاني السامية في كثيرٍ من خطبهِ الشريفة، فإنَّ أسلوب الحوار مع الآخرين، لا بدّ أن يكون مُحَدَّدًا ضمن الأطر الأخلاقيَّة الإسلاميَّة، التي يفرضها مقتضى الحال أو المقام الحواري، ومن هذه الأساليب المعتمدة في الحوارِ مع الآخرِ قوله عليه السلام : ((ليّنِ الكلام ولطافته ومقامه؛ ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم، يكون افتقارك إليهم في لينِ كلامِك وحسنِ بشرِك))[٢]، فلأسلوب لين الكلام ولطافته تأثيرٌ كبيرٌ في نفس

(١) ينظر : مجمع البيان: ٢/ ٣٧٦، والأمثل: ٢/ ٢٧ .
(٢) نهج البلاغة: ٣/ ١٢٢.

المتلقّي الذي يكون معه الحوار أو الحديث، وله تأثير عظيم في حسن المعاشرة وجذب القلوب وتحصيل الفوائد والكرم، ويطلق على سعة الخلق والخير والفضل والشرف والجود والعزّة والصفح والعظمة والتّنزّه عن مخالفةِ الخالق سبحانه، فهو من أجزاء التّواضع وعدم التّكبّر على الآخر(١). فقد رُوِيَ عن أميرِ المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ((لين الكلام قيد القلوب))(٢).

٣-الكلمةُ الحسنة والحوارُ البنّاء الهادف:

وهذا ما نلحظه من خلال قولهِ تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، فالله سبحانه وتعالى لا يوجه هذا الأمر بالدعوة إلى رسوله صلى الله عليه وآله إلّا وهو يعلم أنّه سينفّذُ ما أُمِرَ به، وسيقوم بأمرِ الدعوة فـ(ادع) بمعنى: دلّ الناس وأرشدهم طريق الحقّ، وعلّمهم وضع الشيء في موضعه المناسب، وعدم التكبّرِ والطغيان، والحكمة هي المعرفة بمراتب الأفعال في الحسن والقبح والصلاح والفساد؛ لأنّ بمعرفة ذلك يقع المنعُ عن الفساد والاستعمال للصدقِ والصواب في الأفعالِ والأقوالِ. وسُمّيَ القرآنُ حكمة؛ لأنّه يتضمّن الأمرَ بالحسنِ والنهي عن القبيحِ، وأصل الحكمة المنع(٣). والموعظة الحسنة معناها: الوعظ الحسن، وهو الصرف عن القبيحِ على وجهِ الترغيب في تركه والتزهيد في فعله، وفي ذلك تلين القلوب بما يوجب الخشوع وعدم الاستكبار على الآخرين.

---

(١) ينظر: شرح أصول الكافي: ١١/ ٢٦٤.
(٢) المحاضرات في اللغة والأدب :١/ ١٣١.
(٣) ينظر: مجمع البيان: ٣/ ٣٩٢.

وقد ذكر الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره خطوات تمّ ترتيبها وفقًا لتسلسل الآيات، **فالخطوة الأولى** هي الحكمة بمعنى العلم والمنطق والاستدلال، وهي في الأصل بمعنى المنع، وقد أطلقت على العلم والمنطق والاستدلال؛ لقدرتها على منعِ الإنسان من الفسادِ والانحرافِ. فأوّل خطوة على طريق الدعوة إلى الحقّ هي التمكّن من الاستدلال وفق المنطق السليم. **والخطوة الثانية**: الموعظة الحسنة في طريق الدعوة إلى الله بالاستفادة من عملية تحريكِ الوجدان الإنساني؛ وذلك لما للموعظة الحسنة من أثرٍ دقيقٍ وفاعلٍ على عاطفة الإنسان وأحاسيسه وتوجيه مختلف طبقات الناس نحو الحقّ، **والخطوة الثالثة**: تختصّ بتخلية أذهان الطرف المخالف من الشبهات العالقة فيه والأفكار المغلوطة؛ ليكون مستعدًّا لتلقّي الحقّ عند المناظرة[١]. والمستنتج من هذه الآية أنّ الغرض من الدعوةِ هي الدعوة إلى الله وبيان الطريق إليه من خلال الحكمةِ والموعظة الحسنةِ والحوارِ العقلاني، والحوار مع الخصم لا يخلو من تشنيعٍ وتعريضٍ، فكان من لوازم إتيان الثمرة من الدعوة والحكمة في الجدل معهم والموعظة الحسنة[٢]. وبذلك تكون هذه الوسائل هي بعض الطرق لمكافحة الاستكبار ومقارعته.

والوسطية مأخوذة من مادة وسط وتدلّ على معانٍ متقاربة، كما يذكر ابن فارس فـ((الواو والسين والطاء) يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه))[٣]، وفي الصحاح: ((الوسط من كلّ شيء أعدله، قال تعالى: ﴿جَعَلناكُمْ

(١) ينظر: الأمثل: ٨/ ٢٤٣.
(٢) مجلة سبيل: ٣٩.
(٣) معجم مقاييس اللغة: ٦/ ١٠٨ (وسط).

أمة وسطاً﴾))[١]، والتوسيط: أن تجعل الشيء في الوسط[٢]، أمّا في الاصطلاح؛ فالوسطيّة لم تخالف المعنى اللغوي؛ لذا نجد في قوله تعالى: ﴿وَاقصد في مشِيكِ﴾ أي: اعدل ولا تتحيّر فيه، ولا تدبّ دبيبًا من القصدِ، وهو المشي لاعتدال ثمّ قال: القصد يستعمل فيما بين الاسراف والتقتير[٣]، وقال ابن الأثير: ((ومنه الحديث: حامل القرآن غير الغالي فيه ولا الجافي عنه، إنّما قال ذلك لأنّ من أخلاقه وأدبه التي أُمِرَ بها القصدُ في الأمور))[٤].

وربّ سائل يسألُ عن الضابطة للوسطيّة والاعتدال؟ وكيفيّة تحديدها؟ فنقول: إنَّ الضابطة في الوسطيّة والاعتدال هي انتخابُ الحدّ الذي يكون بين حدّي الاستكبارِ والخضوعِ من دونِ ميلٍ الى جانبٍ على حسابِ الجانبِ الآخر، وهذا هو الأصلُ في المقامِ في الأحكام والتعامل والآداب والعقائد؛ إلّا إذا دلّ دليل بخلافِ ذلك، فمثلًا الحدّ الأعلى في الحكمِ الكذائي هو الأفضلُ والأحسن من انتخاب الوسطِ، أو إنّ الحدّ الأدنى هو الأفضل من انتخابِ الوسط.

وحاصلُ الأمر أنّ الضابطة في الوسطيّة هي انتخاب الحدّ المعقول الوسط بين حدّينِ آخرين لا تفريط ولا إفراط في الأمر. ومن هنا روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال لولدهِ الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام : ((عليك بالحسنة بين السيّئتين تمحوها، قال: وكيف ذلك يا آبه؟ قال: مثل قول الله: ﴿ولا تَجهر بصلاتِك وَلاَ تخافت بِها﴾ [الإسراء:١١٠]، ولا تجهر بصلاتك سيّئة، ولا تخافت بها سيّئة، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ حسنة. ومثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا تجعَل يدك مغلولة الى عنقِك وَلاَ

(١) الصحاح: ٣/ ١٦٧ (وسط).
(٢) ينظر: لسان العرب: ٧/ ٤٢٨ (وسط).
(٣) ينظر: مجمع البحرين: ٣/ ٥٠٩ (وسط).
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر: ٣/ ٣٨٢ .

تبُسطها كلّ البسطِ فتقعد ملوماً محسوراً﴾ [الإسراء:٢٩]، ومثل قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧]، فأسرفوا سيّئة وقتّروا سيّئة، وكان بين ذلك قوامًا حسنة، فعليك بالحسنةِ بين السيّئتين))[١]. ففي الرواية نجد أنّ الإمام الباقر عليه السلام في صددِ إعطاء حكم كلّي عبّر عنها بالحسنةِ بين السيّئتين المتوسّطة ثمّ ذكر لها بعض التطبيقات.

وفي أصول الكافي: ((أنّ التوسّط بين الطرفين في الأقوال والأفعال والعقائدِ كالتوسّط في المشي بين الدبيب والاسراع، قال تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان:١٩]، والتوسّط في الإنفاق بين التبذير والتقتيرِ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾، والتوسّط في العبادة بحيث لا يلحق البدن مشقّة شديدة بتغيّر الطبع عنها ولا يتركها. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا عليّ إنّ هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق ولا تبغّض نفسك عبادة ربّك، فإنّ المنبتّ (يعني المفرط) لا ظهرًا أبقى ولا أرضًا قطع، فاعمل عملَ مَن يرجو أن يموت هرمًا، واحذر حذر مَن يخاف أن يموت غدًا. وبالجملة التوسّط في جميع الأمور إلّا الذنوب مطلوب ممدوح، والعدوان بمعنى التجاوز عن الأوساط إلى طرف التفريط والافراط كما هو شأن الجاهل (الهارب) عن الصراط المستقيم مذموم))[٢].

المبحث الأوّل: الأدلّة القرآنيّة والنبويّة ومنهج الإمام عليّ عليه السلام لاعتماد الوسطيّة والاعتدال في محاربة الاستكبار، ونبذ العنف، والدعوة إلى السلم

إنّ الأدلّة القرآنيّة والنبويّة في التوسّط والاعتدال كثيرة، وهي وسيلة من الوسائل في مقارعة ومحاربة الاستكبار بكافّةِ أشكاله وأنماطه سواء أكان ذلك متعلّقًا

(١) وسائل الشيعة: ٨/ ٣٩٧.
(٢) شرح أصول الكافي: ١/ ٢٧١.

بالإنسان من حيث كونه فردًا واحدًا أم من خلال المجموعاتِ الانسانيّة المؤلِّفة للمجتمعات والدول التي تحاول الاستيلاء على غيرها من الدول؛ لذا ارتأينا أن نقف على بعض النماذجِ القرآنيّة والأحاديث النبويّة الراجعة للرسولِ صلى الله عليه وآله، أو لأهلِ البيت عليهم السلام في اتّخاذ الموقفِ المعتدل، ومحاربةِ القوى الشريرة الداخليّة لدى البشر، ومنها الاستكبار على الآخرين لا لشيء وإنّما لشعور خفيّ بالتعالي والاستيلاءِ على حقوقِ الناسِ الضعفاء.

ولِنبدأ بالكتابِ الكريم، فقد ذكر ربّ الجلالة آياتٍ كثيرة تؤيّد الوسطيّة والاعتدال في التعامل ومنها؛ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، ومفاد هذه الآية كما في كثيرٍ من تفاسير الفريقين أنّ الله سبحانه وتعالى جعل الأمّة الإسلاميّة أمّةً وسطًا بين اليهود والنصارى، أي: عدلًا، وينحصر الاستدلال بها على مجموع الأمّة بالنسبة إلى الأمم السابقة، وهذا الوصف مستمر إلى يوم القيامة، فالآية الكريمة جعلت المسلمين أمّة وسطًا وهذه الوسطيّة والعدليّة ممتدّة مع امتداد الأمّة الإسلاميّة في كلّ عصر وزمان، فالأمّة الإسلاميّة في مراحلٍ لاحقة هي أمّة وسط في عقيدتها وتشريعاتها وتطبيقها للمنهج الإسلامي. وقد ذكر ابن زمنين في تفسيره ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، ((أي: عدلًا، يعني: أمّة محمّد صلى الله عليه وآله))[1]، فهي عادلة في التعامل مع الآخرين حتّى ولو لم يكونوا على نفس الدين فالإسلام يؤمن بحريّة التعدّد الديني ولا يرغم أحدًا على الدخول في الإسلام بالإكراه ويؤمن بإعطاء الحقوق والواجبات لكافّة البشر من غير استثناء وقد ورد ((في الخبر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: ((خيرُ الدين؛ النمطُ الأوسط)) يعني الذي ليس فيه غلوّ ولا تقصير، وذلك دين الإسلام؛ لأنّ النصارى غَلَوا في دينهم،

(١) تفسير ابن زمنين: ١/ ١٨٤.

واليهود قصّروا، أمّا المسلمون أخذوا بالنمط الأوسط))[١].

وعليه فالروايات وأقوال المفسّرين دلّت على استفادةِ المعنى الكلّي للوسطيّة ونبذ الاستكبار بكافّة صنوفه عن طريق الاستدلال بنفس ألفاظ الآية المباركة، فقد رُوِيَ عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله تفسير الآية بالأعمّ، كما قال بذلك الشيخ الطوسي في تفسيره البيان إذ قال: ((﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾، أي: عدلًا، وهو قول مجاهد وقتادة والربيع وابن عباس وأكثر المفسّرين))[٢]، و((روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ صلى الله عليه وآله في قوله تعالى السابق قال: عدلًا، ولمّا كان وسطًا مجانبًا للغو والتقصير، كان محمودًا، أي: إنّ هذه الأمّة لم تغلُ غلوّ النصارى في أنبيائِهم، ولم تقصّر تقصير اليهود في أنبيائِهم))[٣].

والحاصل من هذه الآية أنّها تامّة الدلالة على اختيارِ الوسطيّة في جميع مجالات حياتنا العباديّة، وغيرها، وعدم الركون إلى الاستكبار والمعاندة مع الآخرين.

وكذلك الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وهذه الآية واضحة الدلالة على إرادة الله تعالى لاتّباع الصراط المستقيم ونبذ ما وراءه من سبل وأنّ اتّباعه هو الوجهة الإلهيّة؛ لأجل الوصول إلى التقوى، ((إنّ طريق الله واحد بينما طرق المنحرفين والبعدين عن الله متعدّدة ومتناثرة، وذلك لورودِ الصراط المستقيم بصيغة المفرد، وسبل المنحرفين بصيغةِ الجمع))[٤]. وبذلك يكون الصراط المستقيم هو المعاملة مع الناس بما يُرضِي الله سبحانه وتعالى من معاملة الغيرِ معاملة

(١) تفسير السمعاني: ١/ ١٤٩.
(٢) البيان في تفسير القرآن: ٢/ ٦ .
(٣) تفسير القرطبي:٢/ ١٥٣.
(٤) الأمثل: ٢/ ٤٢٦ .

حسنة تقوم على احترام الآخرين وعدم التنكّر لهم والاستكبار عليهم.

وخير دليل على ما نذهب إليه هو عهد الإمام عليّ عليه السلام لمالك الأشتر، وعلى كلّ حال، فإنّ الإمام عليًّا عليه السلام يحدّد في ذلك العهد الخطوط التي يجب أن يسير عليها الحاكم أو الوالي في عمليّة التعامل مع العدوّ الخارجي المجاهر بعدائهِ للمسلمين. وها هو عليه السلام يقول في عهده مخاطبًا الأشتر: ((ولا تدفعنّ صلحًا دعاك إليه عدوّك ولله فيه رضًى، فإنّ في الصلح دعةً لجنودك، وراحةً من همومك وأمنًا لبلادك، ولكن الحذر كلّ الحذر من عدوّك بعد صلحه، فإنّ العدوّ ربّما قارب ليتغفّلَ... وإن عقدت بينك و بين عدوّك عقدةً أو ألبسته منك ذمّةً فحطّ عهدك بالوفاءِ، وارع ذمّتك بالأمانة))[1].

إذن؛ السلم مطلب أساسي ومبدئي في سياسة الإمام عليّ عليه السلام مع الأعداء طالما أنّ فيه رضًى لله وحفظًا للأمّة وصونًا لكرامتها، وكما أنّ السلم مطلبٌ أساسي فكذلك الحال بالنسبة لاحترام العهود والمواثيق المبرمة مع العدوّ أيضًا، وبالتالي فالحرب في هذه الحالة هي حربٌ على من اعتدى وبغى، وفي هذا ترجمة واضحة لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾[البقرة:١٩٠]؛ ولذا علينا ألّا نستغرب من تمسّكِ الإمامِ عليّ عليه السلام بالسلم، ونبذه الواضح لكلّ مظهر من مظاهر العنفِ اللّا مسوّغ[2].

فالإمامُ عليه السلام هو القرآن الناطق في قبالِ القرآنِ الذي هو الإمام الصامت. وعلى هذا الأثر فإنّ آيات الذكر الحكيم جاءت لتؤكّد بشكلٍ جليّ على مسألة السلم والسلام، فقد خاطب الله عباده المؤمنين قائلًا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وقد دعا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إلى الجنحِ للسلم إذا جَنحَ إليه

(١) نهج البلاغة: ٣/ ١٠٥ .

(٢) ينظر: النظام السياسي في الاسلام :٨٤ . وموسوعة آل البيت عليهم السلام ٦/ ١٣٢-١٣٣

المشركون، فقال عزّ وجلّ: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

ومن هنا، من هذه الانطلاقة القرآنية والتعاليم السماوية، نستطيع أن نستكشف رؤية الإمام عليّ عليه السلام لمبدأ اللّا عنف في تعامله مع الآخر، فمن المعروفِ عنه عليه السلام أنّه كان دائمَ الاهتمام بموضوع الإعذار، والإعذار: هو إيضاح الأمر لدى الخصم ليهلك مَن هلكَ عن بيّنة ويحيا مَن حيا عن بينة[١].

ومن الأمور التي لا بدّ من ذكرها هنا، توطيدًا للبعد الاجتماعي، ويمثّل صورة جليّة في قاموس الإمام عليّ عليه السلام الإنساني، ففي مدّة خلافته وما قبلها إنّه لم يكن يبدأ الحرب أوّلًا إلّا إذا فرضت عليه، فهو يواجه عدوّه أوّلًا بالنصيحة والإرشاد والحجّة حتّى تنقضي حججهم ويبدؤا هم بالقتال.

وقد روى أحمد في مسنده عن أبي وائل عن أبي عبد الله قال: ((خطّ رسول الله صلى الله عليه وآله خطًّا بيده ثمّ قال: هذا سبيل الله مستقيمًا. قال: ثمّ خطّ خطًّا عن يمينه وشماله ثمّ قال: هذه السبل ليس منها سبيل إلّا عليه شيطان يدعو إليه ثمّ قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾))[٢]، وروى في موضعٍ آخر عن جابر أنّه قال: ((كنّا جلوسًا عند النبيّ صلى الله عليه وآله فخطّ خطًّا هكذا أمامه فقال: هذا سبيل الله عزّ وجلّ، وخطّين عن يمينه وخطّين عن شماله، وقال: هذا سبيل الشيطان. ثمّ وضع يده في الخطّ الأوسط ثمّ تلا هذه الآية ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾))[٣]، ومثله في سنن ابن ماجه ومجمع الزوائد وغيرها من المضانّ[٤].

---

(١) ينظر: النظام السياسي في الاسلام:٨٤

(٢) مسند أحمد بن حنبل: ١/ ٤٦٥.

(٣) م.ن.

(٤) ينظر سنن ابن ماجه: ١/ ٦، و مجمع الزوائد: ٧/ ٢٢ ، والمنتخب مسند عبد بن حميد: ٣٤٥، وكتاب السنّة:١٣.

وعليه فالآية تامّة الدلالة على أنّ المطلوب من الأمّة الإسلاميّة والإنسان العاقل اتّباع السبيل الأوسط وأنّ هذا الخط هو الصراط المستقيم الذي يُراد للمسلمين اتّباعه من دون غيره فمَن سلكَ صراط الله المستقيم واتّبع نوره المنير خرج من الشبهات والاختلاف والحيرة والضلالة وصار إلى مستقرّ الأمن وضياء النور ومعدن الخير وموضع الرسالة ومقرّ الرحمة والرأفة والهدى وأمان الأمّة وسفينة النجاة ودار السلام والإسلام وولاية المهتدين واتّباع الصادقين والتمسّك بسبل المؤمنين، وقد فُسّرَت السبل المنهيّ عن اتّباعها بالأديان السابقة كاليهوديّة والنصرانيّة، أو ما كان من غير ملّة الإسلام، أو أنّها السبل التي تؤدّي إلى اتّباع غير سبلِ الله عزّ وجلّ، وما يدعو إليه من عملٍ صالح يرجع نفعه على البشريّة عامّة. وبما أنّ الصورة الماديّة البشريّة تقتضي الجهل بما يريده الله من عباده لا يقنع الإنسان بالتصرّف في الأمور الخارجيّة والتمتّع بها بكلّ عضوٍ من أعضائه على حساب ما تقتضيه الصورة البشريّة على الاعتدال، بل يريد الوصول إلى ما يهواه ويشتهيه ويتّبع شهوته، فيفسد بذلك حياته الماديّة والمعنويّة الفرديّة والاجتماعيّة فيختلّ بذلك النظام والاجتماع ومن أجل ذلك جعل الله تعالى للإنسان حجّتين؛ حجّة ظاهرة وهم الأنبياء عليهم السلام، وحجّة باطنة وهو العقل، حتّى لا يبتلي الفرد بالاستكبار والتفريط في ارضاء الغرائز ومتابعة الهوى والشهوات، فهداه الله تعالى بهما إلى الصراط المستقيم وطريق الاعتدال في الأمور كلّها، فمن تابعهما نجى من ظلمة الاستكبار والضلالة إلى نور القسط والعدالة .

ومنها كذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥]، ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أنّ كلمة (سبيل وسبل) قد وردت في القرآن الكريم عدّة

مرّات بلغت أكثر من ثمانين مرّة مضافة في بعضها إلى الله، ومضافة في البعض الآخر إلى الطاغوت، وثالثة للمجرمين، ورابعة للمفسدين، وأمثلتها لا على سبيل الحصر، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦]، وقوله: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥]، وقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢].

وعليه فكلّ خصلة محمودة لها طرفان مذمومان، كالسخاء مثلًا فإنّه وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة فإنّها وسط بين الجبن والتهوّر، و((قد ذكر الماوردي أنّه سمع أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم يقول: سمعت أبي يقول: سألت الحسين بن فضل فقلت: إنّك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فنجد في كتاب اللهِ (خير الأمور أوسطها) قال: نعم، في أربعة مواضع؛ قوله تعالى: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٦٨]، وقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، وقوله: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:١١٠]، وعليه فمضمون الحديث تامّ موافق لآيات القرآن التي ضربت الأمثال لحقيقة الوسطيّة))[1].

وبهذا نستنتج أنّ الإسلام العظيم بقوانينه وتشريعاته السماويّة كافّة يريد من الإنسان أن يتّخذ من الوسطيّة والاعتدال منهجًا قويمًا في حياته، ويبتعد عن المناهج التي تؤدّي إلى البغضاء والعدوان، ومنها ظاهرة الاستكبار التي أنكرها القرآن في عدّة آياتٍ كريماتٍ، وبيّن مساوئها وأنّها تؤدّي إلى النزاع والأحقاد بين البشر، وقد

(١) الاتقان في علوم القرآن: ٢/ ٣٤٦.

كان الإمام عليّ عليه السلام خير مصداق لتلك الآيات الكريمة والتعاليم السماويّة .

المبحث الثاني: تبنّي الشريعة الإسلاميّة والإمام عليّ عليه السلام مبدأ الوسطيّة والاعتدال لمحاربة الاستكبار

إنّ الاستكبار والتعالي على الآخرين هو السبب في هلاك كثيرٍ من البشرِ والمجتمعات من ذوي الجاه والسلطان والمال والعلم والتكنلوجيا المتقدّمة التي استعملت في مضرّة بني آدم ولعلّ السرّ في الهلاك يكمن بالمتكبّر نفسه إذ يرى ذاته أعلى وأسمى من بقيّة الذوات البشريّة ممّا يؤدّي به إلى الاستكبار والطغيان.

والاستكبار يؤدّي بالإنسان إلى العواقب السيّئة من ظلم أخيه الإنسان والتطاول على حقوقه من غير وجه حقّ وغصب أملاك الغير، فالمتكبّر لا يتورّع عن ارتكاب أيّ جريمة كانت إذا ما تعارضت مع أهدافه في البروز والتعالي على أبناء جلدته.

فالمستكبر غير قادر على فهم الحقائق التي تطرح عليه؛ لأنّ نفسه الأمّارة بالسوء قد حجبته عن رؤية الحقيقة مهما كانت بارزة أمامه ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، والمتكبّر ينظر إلى الأشياء من خلال مقياسه الذاتي لا المقياس الموضوعي لذلك لا يضع كلّ شيء في محلّه الصحيح فهو يرى الحقيقة ماثلة أمامه وينحرف عنها استكبارًا وعلوًّا وتجاهلًا لحكم العقل والقانون والشرع؛ لذا تراهُ منعزلًا عن الناس؛ لأنّ الكبر من الصفات التي تقطع حبائل الألفة بين الإنسان وأخيه، بل يبدلهما إلى العداء.

إنّ العلاقة بين الوسط والعدل والوسطيّة والانصاف والقسط وعدم الضرّ

والإضرار وعدم الاستكبار والخضوع وارتباطها بالمعنى المركزي من جهة، وكون الشريعة الإسلاميّة سهلة سمحاء من جهة أخرى وثيقة للغاية حتّى أنّه أصبح من الواضح بمكان التعبير أنّ الاعتدال هو روح الإسلام وأساسه المتين وميزانه الذي توزن به الأعمال، ويجب أن يطبّق في الحياة على كافّة الأمور ويؤخذ به على كافّة المستويات لمقارعة الاستكبار ونبذه؛ بل إنّ الكثير من القواعد الفقهيّة أسّست على أساس الوسطيّة والاعتدال، كقاعدة نفي الضرر، وقاعدة نفي العسر والحرج، ومن خلالها تمّ استنباط العديد من الفروع الفقهيّة التي لم يرد فيها حكم شرعي أو نصّ من الشارع المقدّس.

((إنّ السياسة الإسلاميّة بجميع مفاهيمها وألوانها قد تبنّت الوسطية في جميع مجالاتها وآمنت بها إيمانًا مطلقًا ولا نحسب أنّ هناك أيّ نظام دولي عالمي قد اعتنى بالوسطية والاعتدال كما اعتنى بها الإسلام في جميع أنظمته السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة))[1]، فالعلاقة إذن وطيدة بين هذه المفاهيم ومترابطة إلى حدّ التفاني وهذه من نعم الله تبارك وتعالى على هذه الأمّة ببركة رسولها وآل بيته صلى الله عليه وآله الذي بعثه الله رحمة للعالمين بكلّ طوائفهم فقد ذكر نبيّنا صلى الله عليه وآله: ((إنّ الله لم يبعثني بالرهبانيّة، وإنّ خير الدين عند الله الحنفيّة السمحة))[2]، وإذا ما أردنا أن نبيّن سماحة الدين الإسلامي وخلوّه من العسر والحرج والاستكبار على الآخر نجد ذلك واضحًا في قولهِ تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالشريعة الإسلاميّة هي

(١) النظام السياسي في الاسلام:٧٢ ، وينظر: علي صوت العدالة الإنسانية: ٢/ ٢٣١.
(٢) كنز العمال: ٣/ ٤٧ .

الشريعة التي نفى الله عنها العسر والحرج حتّى تكون شاهدة على الأمم التي سبقتها، وهذا ما نجده في ما عرضناه سابقًا من النصوص القرآنيّة فالمعلول واحد والشهادة على الناس مضمونًا ولفظًا وأمّا العلّة التي من أجلها صارت الأمّة الإسلاميّة شاهد على الناس فهي رفع العسر والحرج والوسطيّة والاعتدال في الأمور ونبذ الاستكبار والتعالي على الآخرين كما في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فالإسلام رفع الحرج عن المسلمين بما كلّف غيرهم من الأمم بالتكاليف الشاقّة والصعبة فرفع الأحكام الحرجيّة لهذه الأمّة مصادق لقوله صلى الله عليه وآله: ((بُعثت بالحنيفيّة السمحة السهلة))[1]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، والأصر: هو الحمل الثقيل الذي يحبس صاحبه مكانه لثقله، فهذه الآية مع الحديث النبوي مخصوصة برفع الأحكام الشاقّة؛ وصريح كلام الرسول صلى الله عليه وآله: ((مَن خالف سنتي فليس منّي))[2]، وهذا يعني أنّ اللازم على جميع المسلمين مراعاة سنته المتمثّلة بالرفق واللين والمساهلة وتطبيق الشريعة الحقّة من دون زيادة أو نقيصة، فإنّ أحكام الله لا تحتاج إلى زيادة من المكلّف فهي دواء لكل الأمراض والعلل وليس من المعقول أن يزيد المريض على وصف الحكيم معلّلًا ذلك بسرعة الشفاء. وبهذا يكون من أوّليّات الإسلام وشريعته السمحاء محاربة المستكبرين في الأرض من خلال تبيين أخطاءهم والدعوة الحقّة لهم باتّخاذ الوسطيّة معيارًا لهم في التعامل وإلّا كانت الضلالة طريقًا لهم فلا يتوبون إلى بارئهم ولا يجدون ناصرًا لهم.

(١) بحار الأنوار: ٦٤/ ١٣٦.
(٢) كنز العمال: ١/ ١٧٨.

ونجد هذه الحقيقة ناصعة مشرقة في قاموس الإمام عليّ عليه السلام ، وممّا يقوّي هذه الحقيقة الأمثلة الآتية:

((ففي حرب الجمل نرى الإمام عليّ عليه السلام قد نزل بالموضع المعروف بالزاوية في البصرة، فصلّى أربع ركعات ثمّ رفع يديه داعيًا: اللهمّ ربّ السموات وما أظلّت، والأرضين وما أقلّت، وربّ العرش العظيم... اللهمّ إنّ هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي وبغوا عليَّ، ونكثوا بيعتي، اللهمّ احقن دماء المسلمين، وبعد ذلك أرسل إليهم مَن يُناشدهم الله في الدماء، فأبوا إلّا الحرب، ثمّ عاد فأرسل إليهم رجلًا من أصحابه يقال له مسلم يدعوهم إلى الله، فرموه بسهمٍ حتّى جاء عبد الله بن بديل ورقاء بأخ له مقتول من الميمنة، وجاء قوم برجل آخر قد رُمِيَ فقُتِلَ، وبالرغم من كلّ ذلك لم تكن هذه آخر مساعيه في طلب السلم وحقن الدماء، فبعث إليهم عبد الله بن عبّاس فأبلغ في الحجّة لكنّهم رفضوا إلّا الحرب، فلم يستسلم الإمام عليّ عليه السلام لما كان، فعاد وأرسل إليهم أيضًا عمّار بن ياسر (رض) سبيلًا إلى السلام لعلّهم يتذكّرون قول الرسول صلى الله عليه وآله له: تقتلك الفئة الباغية، غير أنّه لم يفلح في مهمّته، فما كان منه إلّا أن عاد إلى الإمام عليّ عليه السلام ليقول له: ليس لك عند القوم إلّا الحرب))[1].

وبعد هذه الحقائق عن هذه الحرب الضروس وانتصار الإمام عليّ عليه السلام انتصارًا باهرًا تظهر لنا لمحة إنسانية هي ما عهدنا عن إمامنا عليه السلام تمثّلت تلك الصور في إعادة زوج رسول الله صلى الله عليه وآله عائشة، فقد عاملها بكلّ وقار وتقدير وأعادها إلى المدينة المنوّرة معزّزة مكرّمة، وهذا يمثّل منهجًا إسلاميًّا حقيقيًّا لم تألفه الأمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فهو يرفض التعصّب نابذًا للعنف طالبًا للسلم[2].

---

(١) ينظر: وقعة الجمل: ١٢٩.

(٢) ينظر: كنز العمال: ٣/ ٤٧.

وهذا المشهد العملي هو التطبيق الواقعي لنظريّة الإمام عليّ عليه السلام في ضرورة طلب السلم ورفض العنف الذي تأباه النفس البشريّة السويّة، ومن الأقوال المأثورة عنه عليه السلام في هذا المجال، قوله: ((مَن عامل بالعنف ندم))[١]، وهو القائل أيضًا: ((كن ليّنًا من غير ضعف، شديدًا من غير عنف))[٢]. وربما هذه الأقوال النظريّة وما رافقها من تطبيقات عمليّة هي أحد الجوانب التي حببت به الكثير من المفكّرين والأدباء المسيحيّين المعاصرين سواء في الشرق أم في الغرب، حتّى أنّ العديد منهم قد شبّهه بالنبيّ سليمان الحكيم عليه السلام نظرًا لما يملك من علم وحكمة في التعامل مع الناس والأحداث، وقد أكّد ذلك المفكّر والمؤرّخ المشهور (فيليب حتّي) في كتابه المعروف[٣].

أنّ بعضًا آخر قد رأى أنّ الإمام عليّ عليه السلام قد لاقى نهايته المحتومة نتيجة الإفراط في تعامله الإنساني مع الآخرين الذين استغلوا نزعته الإنسانية للقضاء عليه وعلى تلك النزعة التي لا تروق لهم ولا لمخطّطاتهم وهذا ما أكّده المستشرق الاسكتلندي (وليم موير) في كتاباته عن تاريخ الإسلام والمسلمين[٤].

أمّا المشهدُ الثاني من التطبيقات العمليّة لكراهة مبدأ العنف والميل إلى السلم في نهج الإمام عليّ عليه السلام ، فيمكننا أن نراه في موقعةِ صفّين الغنيّة عن التعريف[٥].

فعلى الرغم من كلّ ما فعله معاوية وصاحبه عمرو بن العاص بالإمام عليّ عليه السلام من شقّ عصا الطاعة وتأليب الناس عليه والتجييش الإعلامي عليه وعلى أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله عمومًا واضطهاد أتباعه وملاحقتهم في كلّ مكان، نرى الإمام عليه السلام

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٤٢٩.
(٢) م. ن: ٣٩٣.
(٣) ينظر: تاريخ العرب المطول ، فليب حتي: ٢ : ٤٣.
(٤) ينظر: الإسلام في تصورات الغرب: ٩١-٩٢.
(٥) النظام السياسي في الإسلام: ٧٢-٧٨ ، وينظر: علي صوت العدالة الإنسانيّة: ٤/ ١٢١.

يخاطب أتباعه الذين استبطؤوه في الخروج إلى صفّين قائلًا: ((فو الله ما دفعت الحرب يومًا إلّا وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة، فيهتدي بي وتعشو إلى ضوئي، وذلك أحبّ إليّ من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها))[١].

فالحرب عند الإمام عليّ عليه السلام هي الخيار الأخير وشرّ لا بدّ منه، أو بمثابة العمل الجراحي الذي لا مفرّ من القيام به بعد استنفاذ كلّ النصائح والإرشادات وكلّ الطرق الوقائيّة؛ ولذلك فعندما استبدّ الطرف الآخر برأيه وطمع بكرسيّه وأبى بعد مراسلات عدّة إلّا الخروج والقتال، لم يكن أمام أمير المؤمنين عليه السلام إلّا التعبئة العامّة للجيش وملاقاة العدو[٢].

وقد أوصى جيشه قبل اللقاء قائلًا: ((لا تقاتلوهم حتّى يبدؤوكم، فإنّكم بحمد الله على حجّة، وتركككم إيّاهم حتّى يبدؤوكم حجّة أخرى لكم عليهم، فإن كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبرًا، ولا تصيبوا معورًا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيّجوا النساء بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم))[٣].

ولم تكن هذه الإنسانية القياديّة المرحومة في شخص عليّ عليه السلام لها حدٌّ تتوقّف عنده، بل تعدّتها إلى ما هو خارج نطاق التعاليم الحربيّة إلى روح الرسالة النبويّة السمحاء، فقد سمع (سلام الله عليه) قومًا يسبّون أهل الشام بمختلف تسمياتهم، فقال: ((إنّي أكره لكم أن تكونوا سبّابين، ولكنّكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب في القول وأبلغ في العذر، وقلتم مكان سبّكم إيّاهم: اللهم احقن دماءنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتّى يعرفوا

---

(١) نهج البلاغة: ١/ ١٠٤.

(٢) ينظر: النظام السياسي في الإسلام :٧١، وموسوعة آل البيت عليهم السلام: ٦/ ١٣١، وعلّي صوت العدالة الإنسانية: ٤/ ١٢١.

(٣) ميزان الحكمة: ١/ ٥٦٥.

الحقّ من جهله، ويرعوي عن الغي والعدوان من لهج به))[١].

فهذا السبّ ممنوع محذور منه في لغة عليّ عليه السلام وغير مسموح به؛ لأنّ مبدأ السلام عنده عليه السلام يبدأ من الكلمة في الميدان وينتهي بالسيف في النزال.

ومن الادلة الاخرى البينة والواضحة على تجنّبه عليه السلام العنف وكرهه للحرب وحلّ المشاكل ودعوته للسلم لا بلغة العنف والدماء، بل بالتي هي أحسن؛ أنّه سُئِلَ مرّة: لم لا تحبّ الحرب إلّا بعد فترة زوال الشمس؟ فكان جوابه عليه السلام: ((هو أقرب إلى الليل وأجدر أن يقلّ القتل، ويرجع الطالب، ويفلت المهزوم))[٢].

ومن التعليقات الهامّة على مبدأ السلم عند عليّ عليه السلام، قول الأديب والمفكّر العربي الكبير (جورج جرداق) صاحب كتاب (الإمام عليّ عليه السلام صوت العدالة الإنسانيّة)، إذ يقول: ((ونحن لا نغالي إذا قلنا إنّ دعوة ابن أبي طالب للسلم كمبدأ عام، كانت منعطفًا إلى الخير في تاريخ العرب الذين كان حبُّ القتال شريعة لهم في الجاهليّة))[٣]. وبالطبع، فإنّ هذا الكلام من الأستاذ (جرداق) يمثّل كلام الشريحة الأوسع من رجال الدين والأدباء والمفكّرين المسيحيّين الذين فتحوا نوافذ عقولهم المستنيرة على ثقافات وقيم الغير، فتفاعلوا مع تلك الثقافات والقيم، فاستفادوا وأفادوا، وتأثّروا وأثّروا، وها هو الزعيم المصري القبطي (مكرم عبيد) يقول صراحة: ((نحن مسلمون وطنًا، ونصارى دينًا، اللهمّ اجعلنا نحن المسلمين لك، وللوطن أنصارًا، واللهم اجعلنا نصارى لك، وللوطن مسلمين))[٤].

---

(١) نهج البلاغة: ٢/ ١٨٥.

(٢) بحار الأنوار: ٣٣/ ٤٥٣.

(٣) علي صوت العدالة الإنسانية ٤/ ١٢١، وموسوعة أهل البيت الحضارية: الامام علي سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي : الصغير: ٢٣٨.

(٤) مجلّة صدى البلد، عدد يونيو ٢٠٢٣.

ومن المشاهد الأخرى في سفرِ عليّ عليه السلام الإنساني هذ البطل المحمّدي في حبّه للسلم ورفضه للعنف على مختلف الأصعدة الإنسانيّة، هو ذلك المشهد التراجيدي المهيب الذي يمثّل آخر ساعة من ساعات الإمام عليّ عليه السلام بيننا قبيل انطلاقته ورحيله إلى الملأ الأعلى.

((فحينما ضرب الخارجي عبد الرحمن بن ملجم، وإنّي أترفع عن سبّه امتثالًا لأوامر الإمام بعدم السبّ، أمير المؤمنين عليًا عليه السلام في المحراب عند صلاة الفجر، نقل إلى داره، وقال له بعض ممن كانوا حوله: هذا عدو الله وعدوك ابن ملجم قد أمكننا الله منه وقد حضر بين يديك، فما أنت آمر به؟ ففتح أمير المؤمنين عليه السلام عينيه الحزينتين ونظر إلى ابن ملجم، وقال له بصوت منكسر حزين: يا هذا لقد ارتكبت أمرًا عظيمًا وخطبًا جسيمًا، أبئس الإمام كنت لك حتّى جازيتني هذا الجزاء؟

ألم يكن يقال لي فيك كذا وكذا فخلّيت لك السبيل ومنحتك عطائي وقد كنت أعلم أنّك قاتلي لا محالة؟ ولكن رجوت بذلك الاستظهار من الله تعالى عليك علّ أن ترجع عن غيّك، فغلبت عليك الشقاوة فقتلتني يا شقي الأشقياء. فبكى ابن ملجم بين يدي الإمام عليه السلام ، فالتفت الإمام عليّ عليه السلام إلى ولده الحسن عليه السلام وقال له: أرفق يا ولدي بأسيرك وارحمه، وأحسن إليه وأشفق عليه، ألا ترى إلى عينيه قد صارتا في أم رأسه وقلبه يرجف خوفًا ورعبًا وفزعًا))[1].

ولمّا دهش كلّ من كان حاضرًا من ردّ فعل الإمام البالغ في الإنسانيّة، أكمل الإمام عليه السلام كلامه طالبًا من ابنه الحسن عليه السلام ألّا يغلّ له يدًا وألّا يقيّد له قدمًا، بل أضاف قائلًا: ((نعم يا بني! نحن أهل البيت لا نزداد على المذنب إلينا إلّا كرمًا وعفوًا،

(١) نهج البلاغة، محمد عبده: ٣/ ٤٩٠، وموسوعة آل البيت عليهم السلام: ٦/ ٣٠١، وموسوعة أهل البيت الحضارية: الإمام علي سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي: ٢٣٥.

والرحمة والشفقة من شيمتنا، بحقّي عليك أطعمه يا بنيّ ممّا تأكل وأسقه ممّا تشرب، فإن أنا متّ فاقتصّ منه... وإن عشت فأنا أولى بالعفو عنه، وأنا أعلم بما أفعل به))[1].

هذا هو الإمام علي عليه السلام ، وهذه هي عقيدته في السلم و اللا عنف، هذا هو الإمام علي عليه السلام الذي علّم معلّمي البشرية أنّ الكلمة أمضى من السيف، وأنّ السلام خير من السلاح. هذا هو إمامنا ووصي رسولنا الذي علينا أن نقتدي به دائمًا في الميل إلى السلم ونبذ العنف اللّا مسوّغ بكل أشكاله وصيغه، والذي يعلّمنا دائمًا وأبدًا أنّ العنف لا يقود إلّا إلى العنف، وأنّ السلم بيننا في الأرض هو المعراج إلى السلام في السماء[2].

فالإسلام هو الشريعة التي رسمها الله تبارك وتعالى لعباده لتقيهم من كافّة أشكال الظلم والعدوان ومن ضمنها الاستكبار على الآخرين وأخذ حقوقهم من غير وجهة حقّ؛ فالشريعة هي أبهى صورة وأجمل بكثير ممّا نعرف أو نتصوّر فهي بعيدة عن التحلّل والتزمّت المقيت، وإنّما هي أمر بين أمرين، فإنّ من بين المسلمين مَن يرد حصر الأمور الشائعة بما هو موجود في عصر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؛ لذا يعدّ تحلّ الرفق بدعة بحجّة أنّه لم يكن في عصر النبيّ صلى الله عليه وآله، وبين مَن يرد التحلّل من كلّ قيد ديني في قبال العمل، فلا يلتزم في حياته بشيء ممّا جاء به الإسلام، فالإسلام لا هذا ولا ذاك، فهو يرفض التزمّت إذا كان العمل غير خارج من الأطر العامّة الواردة في الكتاب والسنّة، كما يرفض التحلّل من كلّ قيد، فآفة الدين ليست مختصرة بالثاني، بل آفة الأوّل ليست بأقلّ منه، علمًا إنّ من الأسباب التي أوجبت خلود الدين

---

(١) موسوعة آل البيت عليهم السلام: ٦/ ٣٠١، وموسوعة أهل البيت الحضارية: الإمام علي سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي: ٢٦٦ .

(٢) ينظر: موسوعة آل البيت عليهم السلام: ٦/ ٣٠١، وعلّي صوت العدالة الإنسانيّة: ٤/ ٢٤٤.

الإسلامي وأعطته الصلاحيّة للبقاء مع اختلاف الظروف وتعاقب الأجيال؛ كونه دينًا جامعًا بين الدعوة إلى المادّة والدعوة إلى الروح، ودينًا وسطًا بين المادّة البحتة والروحيّة المحضة، فقد ألّف بتعاليمه القيّمة بين الطوائف والفئات المختلفة، وما أكثر الفرق الظالمة التي ألحقت الأذى بالمسلمين ممّن يحرّم ويحلّل، فمن حرّم شيئًا أو نسبه إلى ملّة الإسلام فهو الظالم، والمعروف ما تعرفه الفطرة والعقول السليمة وأمر به الشارع والمنكر ما تنكره العقول السليمة ونهت عنه الشريعة المطهّرة[١].

إنّ من ملامح التشريع القرآني والإسلامي مرونته وقابليّته على الانطباق على جميع الحضارات الإنسانية فقد جاء بتشريعات خاصّة لها دور التحديد والرقابة على سائر تشريعاته، وهذا التشريع أعطى للدين مرونة ومنعطفًا جديدًا قال سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة:٧]، وقال رسوله صلى الله عليه وآله: ((لا ضرر ولا ضرار)) فحدّد كلّ تشريع بعدم استلزامه الضرر، فأوجب التيمّم مكان الوضوء إذا كان استعمال الماء مضرًّا، وهذه هي السماحة بعينها.

ولعلّ من ملامح التشريع القرآني الواضحة والجليّة ما يرجع إلى القانون والحقوق العامّة، وعدم الاعتداء على الآخرين والاستكبار عليهم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧]، ومحصّل الكلام ونتيجته إنّ الدين الإسلامي بكلّ تشريعاته اتّخذ الوسطيّة والاعتدال والمسامحة وعدم العسر والضرر شعارًا له، فصارت الوسطيّة هي الحقّ الذي ندب إليه؛ لذا نجد قول الرسول صلى الله عليه وآله: ((إنّ الدين يسر))[٢] وقوله أيضًا: ((يسرّوا ولا تعسّروا))[٣].

---

(١) ينظر: في ظلال التوحيد: ١٢١، وموسوعة أهل البيت الحضارية: الإمام عليّ سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي: ٣١٧.

(٢) صحيح البخاري: ١/ ١٥

(٣) كتاب الأمّ: ١/ ٦٩.

الخاتمة:

١. الاعتدال ومحاربة الاستكبار من المفاهيم الإنسانية الاجتماعية العامة التي نادت بها الأديان السماوية ودعت إليها على وفق الحكمة الإلهية وأقرته الأعراف والحقوق والقوانين الوضعية والمواثيق والعهود التي تلزم على احترام إنسانية الإنسان والدفاع عن حقوقه، وهذا هو ما نهجه المولى أمير المؤمنين عليه السلام في أقوله وأفعاله ، وهذا ما أكدته كلماته وما كُتب فيه عليه السلام.

٢. هناك عدة معاني تدل على مفهوم الوسطية والاعتدال ونبذ الاستكبار ومحاربته بين الأفراد واستطعنا أن نستنبط بعضها من تسالم وحوار اجتماعي ليشمل جميع المعاني المتعلقة بالمعنى. وقد أشار إليها الإمام علي عليه السلام.

٣. للوسطية مظاهر وأسباب وأركان ترسخ بين أفراد المجتمعات المتعددة على وفق نظرية النص القرآني المقدس لا على وفق نظرية وضعها العقل الانساني القاصر، فالنظرية القرآنية تدعو إلى توثيق أواصر الوحدة الاجتماعية وتماسك الكيان الإنساني؛ في حين أن النظريات التي يصنعها الانسان مهما كانت منسجمة وذات اهداف مترابطة فلا بد ان يكون فيها دعوة إلى التفرقة والتناحر وعدم تقدم الأمم ورقيها منطلقة من فكرة القطب الواحد وهيمنته على الآخرين.وقد دعا إمام علي – عليه السلام إلى تلك المعاني السامية التي حفلت بها رسالة السماء المحمدية الحقة، مما جعله تمثيلا ناطقا لتلك التعاليم تستمد منه البشرية قوتها في السر إلى أن تكون خير أمة إخرجت للناس

٤. إن المحافظة على الأواصر الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد وبين المجتمعات الاخرى هو مصدر من مصادر قوته وديمومته وانفصال هذه الأواصر سبب من أسباب انهياره وسقوط أركانها.

٥. ينطوي الخطاب القرآني على إبداعات صياغية ونظريات دلالية غاية في الروعة والمهارة البنائية إلى الحد الذي يمكن معه أن ينتج النص دلالة تخالف وتباين ما هو متعارف في القوانين الوضعية والتشريعية.

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم.

١. الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٢. الإسلام في تصوّرات الغرب، محمد حمدي زقزوق، مكتبة وهبة، مصر، ط١، ٢٠١٥م.

٣. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار الأميرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٩م.

٤. التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسين بن علي الطوسي، تح: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، ١٣٧٩هـ.

٥. تفسير ابن زمنين، ابن زمنين، مطبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

٦. تفسير السمعاني، السمعاني، مؤسّسة الرسالة ، بيروت، لبنان.

٧. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، صحّحه: أبو إسحاق أطفيش، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٥م.

٨. دراسات أخلاقية في ضوء الكتاب والسنّة، الشيخ جميل مال الله الربيعي، د. ط، د. ت.

٩. دراسة في المشاكل الأخلاقيّة والنفسيّة، مجتبى اللّاري: مكتبة الإعلام الإسلامي، قم، د. ت.

١٠. سنن ابن ماجة، ابن ماجة، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان.

١١. شرح أصول الكافي، المولى محمد صالح المازندراني، تحقيق مع تعليقات: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: السيّد علي عاشور، مطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

١٢. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حمّاد الجوهري، تح: أحمد عبد الغفّور عطّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٧٨م.

١٣. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري، تح: د. مصطفى البغا، مطبعة دار ابن كثير، اليمامة، بيروت ١٩٨٧م.

١٤. صفوة التفاسير(تفسير القرآن الكريم)، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر، مكتبة التوفيقيّة، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

١٥. عليّ صوت العدالة الإنسانيّة، جورج جرداق، شبكة الفكر، ودار الأندلس، النجف، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

١٦. في ظلال التوحيد، الشيخ جعفر السبحاني، دار التعارف للمطبوعات، د.ت.

١٧. كتاب الأم، الشافعي، مطبعة دار التأليف، القاهرة، مصر.

١٨. كتاب السنّة، ابن أبي عاصم، دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

١٩. كنز العمال، المتّقي الهندي، مؤسّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر، قم.

٢٠. لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور، نسّقه وعلّق عليه: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٢١. مجلة سبيل، مؤسّسة الشهدين الصدرين، بغداد ،العدد(١٥) السنة الثالثة ٢٠٠٩م.

٢٢. مجمع البحرين، الطريحي، مطبعة دار الكتب العلمية، لبنان.
٢٣. مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ أمين الدين أبو علي فضل بن الحسن الطبرسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٢٤. مجمع الزوائد، نور الدين الهيثمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٥م.
٢٥. مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الـرازي، دار الرسالة، الكويت، ١٩٨٠م.
٢٦. مسند أحمد، أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، القاهرة.
٢٧. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، الدار الإسلامية، ١٩٩٠م.
٢٨. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسن بن محمد الراغب الأصفهاني: تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
٢٩. منتخب الكشّي، عبد بن حميد الكشّي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٣٠. موسوعة أهل البيت عليهم السلام، الشيخ باقر شريف القريشي، مؤسّسة الإمام الحسين عليه السلام لإحياء التراث الإسلامي، قم، ط ٢، ٢٠١٢م .
٣١. موسوعة أهل البيت الحضاريّة: الإمام عليّ سيرته وقيادته في ضوء المنهج التحليلي، الدكتور محمد حسين الصغير، دار البلاغ، ط ١، ٢٠١٢م.
٣٢. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، دار الكتب الإسلامية، إيران ،١٣٦٢هـ.
٣٣. النظام السياسي في الإسلام، الشيخ باقر شريف القريشي، مطبعة شريعت، إيران، ط١، ٢٠٠٨م.

٣٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، تح: طاهر أحمد الروّاي، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت.

٣٥. نهج البلاغة، شرح محمد عبده، الدار الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م.

٣٦. وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي، تح: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مهر، قم.